

القراءة النحوية للقرآن الكريم: أدلة المستشرقين ودحض المسلمين

المطالِب: محمد عايش إشراف: أد. أحمد عرابي جامعة ابن خلدون - تيارت¹

ملخص:

تتفاوت الدراسات الاستشراقية حول القرآن الكريم، ولكنها تكاد تكون متقاربة عند أغلب المستشرقين من حيث الأهداف والنتائج، ومن المعلوم أنّ بعض المستشرقين حاولوا الطعن في الإسلام، واتخذوا من التنقيب بين آي القرآن عن أي شطط وغلط إحدى سبل ذلك الطعن، وقد دخلوا من أبواب متفرقة لإتمام غرضهم هذا، من تلك الأبواب الاختلاف في تأويل ألفاظ القرآن، وكذا الطعن في الدقة النحوية لتراكيب النص القرآني ومخالفته للقاعدة النحوية - على حدّ تعبيرهم-، ولقد عمل هؤلاء المستشرقين -بناءً على ما تأولوه وحرفوه بعقولهم من فتات أفكار، وما اشتغلوا به من التنقيب والبحث عن كنوز التراث الإسلامي الضائعة- تحت ستار إحياء التراث والتحقيق العلمي النزيه، وما الغرض إلا تمزيق الأمة الإسلامية وتشتيته.

وقد تصدّت لهذه الادعاءات حجج موجودة منذ قرون في كتب النحويين والمفسرين المسلمين، نحاول في هذا المقال استعراض بعض منها والتدقيق فيها، مع تقديم الأجوبة الشافية عنها. فكيف كانت القراءة النحوية الاستشراقية للقرآن الكريم؟ وكيف استغلت للطعن فيه؟، وكيف تم توظيفها؟. وكيف تم الرد على تلك الافتراءات من كتب النحو والتفسير؟.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم; المستشرقين; القراءة النحوية.

Abstract

Orientalist studies considering the Holy Quran differ narrowly, however, their goals and end-results are very similar among most Orientalists. In fact, some Orientalists tried to criticize Islam, one of the ways they used is incorporating thorough investigations to Quranic verses, looking for any transgressions and/or fallacies. In order to achieve their goal, they used various arguments

¹ - تاريخ الابداع : 2017-10-10 تاريخ الموافقة : 2017-11-05

such as the different interpretations of the Quranic vocabulary, as well as the criticism of the grammatical structure of the holy scripture, which is according to them, different from the usual grammar structure. These Orientalists have taken the arduous job of tearing down and scattering the Islamic community, under the cloak of scientific integrity and heritage revival. Their search in the vast treasures of the lost Islamic heritage, and the multiple false interpretations, and distortions were a product of their own distorted reasoning.

Evidence existing in Islamist grammarians' and interpreters' books for centuries have been fending off the orientalist's accusations. In this article we explore some of these books presenting a thorough analysis and the required answers. This articles aims to answer the following questions, what was the orientalist grammatical view of the Holy Quran? And how this view was utilized to criticize the Quran? And finally, how did grammar and interpretation books fend off these false accusations?.

Key words: Holy Quran; Orientalist; Grammatical View.

ادّعى بعض المستشرقين أنّ في القرآن الكريم أخطاء نحوية خالف فيها قواعد اللغة العربية، وعدّوا هذا حُجّة على أنّه ليس من كلام الله، لأن الله لا يخطئ، وقد زعموا هذا حين استشكلوا بعض آيات القرآن والمفردات النحوية والبلاغية فيها، فظنّوا أنّ في النص القرآني أخطاء فاتت الأولين، وأنّهم تنبّهوا لذلك - بعقريتهم - بعد مرور قرون.

إنّ قراءتهم الخاطئة جعلتهم يحكمون على القرآن بأنّه غير منسجم مع مقتضيات القاعدة النحوية، غايته من ذلك نسف نظرية الإعجاز البياني من الداخل، ولم تقم قراءة "جاك بيرك"^(*) وهو يعيد قراءة القرآن على تنسّئة قرائية للنحو العربي، بل يتعثر كغيره من المستشرقين في المبادئ العامة التي يقدم

(*) - جاك بيرك: (1910-1995م) Jacques Berque: مستشرق ومفكر فرنسي ولد في مدينة فرندة بتيارت عام 1910م بالجزائر، زاول دراسته الثانوية بالجزائر العاصمة لينتقل بعدها إلى باريس ليكمل دراسته العليا، ثم درس بمصر فترة من الزمن وكتب الكثير من الكتب عن الإسلام والحضارة الإسلامية، اهتم بيرك بالأدب العربي من خلال دراسة وترجمة المعلقات وكذلك بعض أعمال طه حسين، وهو من أحد أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة، وأهم أعماله ترجمته الحديثة للقرآن الكريم التي صدرت 1990م وله كتاب عنوانه إعادة قراءة للقرآن ترجمه وائل غالي، ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، مصر، ط4، (د.ت)، ج1، ص: 136-137.

عليها النحو، فهو يخص مبحثاً عنونه بعبارة (تفرد نحوي) بوصفها في نظره بدلاً اصطلاحياً لمصطلح اللانظام الذي قال به أستاذة نولدكه⁽¹⁾.

يستند المستشرق (جاك بيرك) في استنباطاته التحوية إلى المستشرق الألماني "تيودور نولدكه" ^(**) ليحكم على القرآن الكريم بالتفرد النحوي⁽²⁾ ويقصد من ذلك أنّ في القرآن شذوذاً نحوياً قياساً على القواعد النحوية المعمول بها.

سنحاول عرض بعض ما ذكره هؤلاء المستشرقين من أمثال تيودور نولدكه و جاك بيرك وجورج سال وجولدتسيهر وغيرهم مع توضيح الشطط في قراءتهم النحوية.

رفع اسم لإن:

يقول تعالى: ﴿ قَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ بِسِحْرِهَا وَيُذْهِبَا بِطِرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَىٰ ﴾⁽³⁾.

من هؤلاء المستشرقين من أراد تصويب ما بدا لهم خطأ، وذكروا أنّ القرآن رفع اسم إن بالألف وكان المفروض أن ينصبه بالياء، فيقول (إنّ هذين الساحران) معتبرين (لإن) ناسخة⁽⁴⁾، ولم يدركوا أن ثمة أجوبة نص عليها أهل العلم، فقد جاء في هذه الآيات قراءات متعددة:

قرأ ابن كثير وحفص (قالوا إن) بتخفيف النون في (إن) وشدّدها الباقون (لإن) وقرأ أبو عمرو (هذين) بالياء وقرأ الباقون بالألف (هذان) وشدّد ابن كثير النون فيها (هذان)⁽¹⁾.

⁽¹⁾ - ينظر: جاك بيرك، إعادة قراءة القرآن، ترجمة: وائل غالي شكري، تقديم: أحمد صبحي منصور، دار النديم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1996، ص: 94، 95.

^(**) - يعتبر تيودور نولدكه (1836-1930م) Theodor Noldeke: شيخ المستشرقين الألمان، ولد بمدينة هاربورج كانت دراسته الثانوية في مدينة لنجن وأكمل دراسته الجامعية في جامعة توبنجن فحصل على الدكتوراه 1806م، برسالة عن (تاريخ القرآن) وهو أشهر كتبه، نشره عام 1860م وفيه تناول ترتيب سور القرآن الكريم، ينظر: نجيب العتيقي، المستشرقون، ص: 595، 596، 597.

⁽³⁾ - سورة طه، الآية : 63.

⁽⁴⁾ - ينظر: تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، نقله إلى العربية وحققه: جورج تامر، دار نشر- جورج المزهري هيلد سهايم، نيويورك، ط4، 2000، ج3، ص: 446. وينظر: جاك بيرك، إعادة قراءة القرآن، ص: 97. وينظر: جورج سال، أسرار عن القرآن، الفصل الثالث من كتاب مقالة في الإسلام، معربة عن الانجليز بقلم هاشم العربي، مطبعة بعثة النيل، القاهرة، ط2، 1914، ص: 448 وما بعدها.

قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ زَانٍ﴾ جاء على لغة بلخث بن كعب وكنانة ومن وليهم من قبائل اليمن حيث يلزمون المثنى الألف مهما كان موقعه من الإعراب⁽²⁾، قال ابن جني (ت398هـ): «من العرب من لا يخاف اللبس، ويجري الباب على أصل قياسه، فيدع الألف ثابتة في الأحوال فيقول: قام الزيدان، وضربت الزيدان ومررت بالزيدان، وهم بنو الحارث وبطن بن ربيعة»⁽³⁾، ومن صور ذلك قول شاعرهم هوبر الحارثي⁽⁴⁾:

تَرَوَدَ مِنَّا بَيْنَ أَذْنَاهُ ضَرْبَةٌ . دَعْنُهُ إِلَى هَآئِي التُّرَابِ عَقِيمِ

فألزم المثنى الألف في قوله (بين أذناه)، ولم يقل (بين أذنيه) كما هو معهود في قواعد اللغة التي كتبها النحاة بعده حسب الشائع عند غير قبيلته من قبائل العرب.

وقد تمّ تخريج الآية السابقة كالآتي:

1- اسم إنَّ محذوف وتقديره ضمير الشأن أو القصة أو الحكاية، وجملة (هذان لساحران) بعدها في محل رفع خبر إنَّ، وذلك بعد تقدير مبتدأ للجملة الصغرى أي: لهما ساحران؛ لأن اللام لا تدخل على خبر المبتدأ وتقدير الكلام (إنه هذان لهما ساحران)⁽⁵⁾.

(1) - ينظر: مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط5، 1997، ج2، ص: 99، 100. وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن حسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط1، 2006، ج14، ص: 87، 89.

(2) - ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة- مصر، ط2، 1973، ص: 50. محمد حسن حسن جبل، دفاع عن القرآن أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن الكريم واللغة العربية، البريري للطباعة الحديثة، بسيون، مصر، د.ط، 2000، ص: 85.

(3) - ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، 2007، ج2، ص: 704.

(4) - ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 50.

(5) - ينظر: أحمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، حققه وقدم له شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط1، 1987، ج2، ص: 249.

2- إن في هذه الآية معنى نعم وهي كثيرة في لغة كنانة ومن جاورهم في مكة ونواحيها، ونص عليها سيبويه (ت180هـ) في قوله «وأما قول العرب في الجواب (إنه) فهو بمنزلة أجل، وإذا وصلت قلت (إن) يا فتى، وهي التي بمنزلة أجل»⁽¹⁾.

نصب المعطوف على المرفوع:

ففي قوله تعالى في سورة النساء: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽²⁾.

يقول المستشرق جورج سال^(*): «وكان الوجه أن يقول (المقيمون الصلاة) كما قال بعده (والمؤتون الزكاة) هذا ما تقتضيه القاعدة إلا أن المفسرين زعموا أنه نصب (المقيمون الصلاة) على المدح أيضاً فلم يستحق هؤلاء المدح ولم يستحقه المؤمنون بالله واليوم الآخر مع أنهم أحق به وأولى إذ كل مؤمن بالله واليوم الآخر مقيم للصلاة ولكن ليس كل مقيم للصلاة مؤمناً بالله واليوم الآخر»⁽³⁾.

الشاهد في الآية الكريمة قولهم (والمقيمون) بدلاً من (والمقيمين) الموضوع بين جمعين مرفوعين بالواو وهو يقوم بالدور نفسه في الحصر⁽⁴⁾، وهذه الكلمة كذلك قرئت بالنصب (والمقيمين) وهي قراءة الجمهور أما قراءة الرفع (والمقيئون) فهي قراءة ابن جبير، وعمرو ابن عبيد، ومالك ابن دينار، وعصمة عن الأعمش وهارون ابن عمرو⁽⁵⁾.

(1) - سيبويه، الكتاب، كتاب سيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1988، ج3، ص: 151.

(2) - سورة النساء، الآية: 162.

(*) - جورج سال (1697-1736م) Georg Sal: مستشرق أنجليزي ولد في لندن التحق في البداية بالتعليم اللاهوتي تعلم العربية على يد معلم من سوريا وكان يتقن العربية أيضاً، وقد اشتهر بترجمة القرآن إلى اللغة الإنجليزية، توفي سنة 1736م. من أشهر مؤلفاته (مقالة في الإسلام) خص فيه جزءاً كبيراً للحديث عن القرآن الكريم وفيه الكثير من الشبهات حول النص القرآني. ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط3، 1993، ص: 358، 359.

(3) - جورج سال، أسرار عن القرآن، الفصل الثالث من كتاب مقالة في الإسلام، ص: 448.

(4) - ينظر: تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ج3، ص: 444. وينظر: جاك بيرك، إعادة قراءة القرآن، ص: 97.

(5) - ينظر: أحمد بن محمد البنا، إتخاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج1، ص: 507.

قراءة الرفع (والمقيّمون) نسقاً على الأول، أما قراءة النصب (والمقيّمين) منصوباً على القطع المفيد للمدح والتعظيم وفي هذا بيان لفضل الصلاة ومنزلتها من شرائع الدين⁽¹⁾.

قال الزمخشري (ت538هـ): «(والمقيّمين) نصب على المدح لبيان فضل الصلاة، وهو باب واسع قد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد، ولا يلتفت على ما زعموا من وقوعه لحناً في خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب، ولم يعرف مذاهب العرب، ومالهم في النَّصْب على الاختصاص من الافتنان»⁽²⁾، والواو في (والمقيّمين الصلاة) ليست واو العطف، بل واو معترضة، وما بعدها منصوب على الاختصاص⁽³⁾ بالمدح؛ أي: وأمدح المقيّمين الصلاة، وفي هذا مزيد عناية بهم عن المذكورين في الآية فـ (والمقيّمين) منصوبة على المدح⁽⁴⁾. وجاء عليه شواهد منها قول الحزني بنت هفان⁽⁵⁾:

لا يَبْعَدُنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ . سُمُّ الْعِدَاةِ آفَةُ الْجُزْرِ

النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُغْتَرِكٍ . وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الْأُزْرِ

فلاحظ أنها جاءت بكلمة (النازلين) منصوبة رغم أن مقتضى السياق أن تأتي مرفوعة، وذلك للتنويه بحرصهم على الاشتراك في كل معترك، فقطعت ونصبت للمدح بذلك.

ومثله قوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾⁽⁵⁾، فلم يقل: (والصابرون) وقد سبقها (الموفون)، والتقدير: وأخص بالمدح الصابرين في البأساء.

(1) - ينظر: أحمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج1، ص: 507.

(2) - الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، السعودية، ط1، 1998، ج2، ص: 178.

(3) - الاختصاص: هو مخالفة إعراب كلمة لإعراب ما قبلها بقصد المدح، أو الذم، ويسمى الاختصاص أو القطع.

(4) - ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 53، 54، وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص: 218.

(5) - ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 53.

(5) - سورة البقرة، الآية: 177.

ونصب (المقيمين) خلافاً لنسق ما قبله وما بعده؛ وهي طريقة في الإنشاء تفعله العرب لفتاً لنظر القارئ أو السامع إلى أهمية ما بعده وخصوصيته، وتفعله بقصد المدح كما في هذه الآية، أو بقصد الذم كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾⁽¹⁾، أي أعني حمالة الحطب، فنصب (حمالة) على الاختصاص بالذم، فجاءت الصفة للذم لا للتخصيص⁽²⁾.

أما في كلمة (الراسخون) قال برك ومن قبله نولده (الراسخين) هو الصواب⁽³⁾، ظناً منها أنها اسم (لكن) بتضعيف النون؛ أي جعلها عاملاً ناسخاً، ومن ثم تراءى لهما أن (الراسخون) اسمها فاستوجب النصب، والصواب أنها (لكن) بتسكين النون لا تعمل والراسخون مبتدأ مرفوع.

رفع المعوف على المنصوب:

في آية أخرى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁽⁴⁾.

هذه الآية هي منشأ هذه الشبهة عندهم، لأنهم نظروا فيما بعد (الواو) في (الصابئون) وقارنوا بينه وبين (الذين آمنوا) الواقع بعد (إِنَّ) وهي حرف ناسخ ينصب (المبتدأ) ويرفع (الخبر) واسم إن هنا- هو (الذين) وهو مبني لأنه اسم موصول، نظر المستشرقون في نظم هذه الآية الحكيمة ومنهم "تيودور نولده" و "جورج سال" وغيرهم وقالوا إِنَّ فيها خطأ لغوياً (نحوياً)؛ لأن (الصابئون) معطوفة على منصوب (إن الذين آمنوا) فكان حقها أن تنصب، فيقال (والصابئين)⁽⁵⁾ كما في سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(1) - سورة المسد، الآية: 04.

(2) - ينظر: سيبويه، الكتاب، كتاب سيبويه، ج2، ص: 149، 150. وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص:

553.

(3) - ينظر: تيودور نولده، تاريخ القرآن، ج3، ص: 444. وينظر: جاك برك، إعادة قراءة القرآن، ص: 97.

(4) - سورة المائدة، الآية: 69.

(5) - ينظر: تيودور نولده، تاريخ القرآن، ج3، ص: 444. وينظر: جورج سال، مقالة عن الإسلام، تذييل الفصل الثالث، ص:

449، 450.

الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ⁽¹⁾ وكما قال في سورة الحج: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى﴾ ⁽²⁾.

إنَّ الواو في الآيتين الأخيرتين للعطف، والمعطوف على المنصوب منصوب.

أمَّا في الآية الأولى للنحاة والمفسرين في توجيه رفع (الصابئون) عدة آراء:

الأول: ما قاله جمهور نحاة البصرة، الخليل وسيبويه وأتباعهما، ذكروا أن: (الصابئون) مرفوع على أنه (مبتدأ) وخبره محذوف يدل عليه خبر ما قبله (إن الذين آمنوا) قالوا: والنية فيه التأخير، أي تأخير (والصابئون) إلى ما بعد (والنصارى) ⁽³⁾. يقول سيبويه (ت180هـ): «والصابئون، فعلى التقديم والتأخير، كآته ابتداءً على قوله (والصابئون) بعدما مضى الخبر» ⁽⁴⁾. وتقدير النظم والمعنى عندهم كما يقول القرطبي (ت671هـ): «إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر، وعمل صالحاً، فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، والصابئون والنصارى كذلك» ⁽⁵⁾.

ومن شواهد هذا الحذف عند العرب قول الشاعر ⁽⁶⁾:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا... عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ.

فقد حذف الخبر من المبتدأ الأول، وتقديره (راضون) لدلالة الثاني عليه (راض). والمعنى: نحن بما عندك راضون، وأنت بما عندك راض.

الثاني: أن (إنَّ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ليست هي (إنَّ) الناسخة، التي تنصب المبتدأ وترفع الخبر، بل هي بمعنى: نعم، يعني حرف جواب، فلا تعمل في الجملة الاسمية لا نصباً، ولا رفعاً، وعلى هذا

(1) - سورة البقرة، الآية: 62.

(2) - سورة الحج، الآية: 17.

(3) - ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص: 95.

(4) - سيبويه، الكتاب، كتاب سيبويه، ج2، ص: 155.

(5) - المرجع السابق، ج8، ص: 95.

(6) - أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، الدرر المصون في علم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخطاط، دار القلم، دمشق،

(د.ط.)، (د.ت.)، ج4، ص: 354.

فالذي بعدها مرفوع المحل؛ لأن (الذين) اسم موصول، وهو مبني في محل رفع وكذلك (الصابئون) فإنه مرفوع لفظاً، وعلامة رفعه (الواو) لأنه جمع مذكر السالم، مفرده (صائٍ)⁽¹⁾.

وقد استعملها العرب كذلك، قال قيس بن الرقيات⁽²⁾:

بَكَرَ الْعَوَازِلِ فِي الصَّبَا . ح يَلْمُنِي وَالْوُمُـهُةُ

وَيَقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَا . ك وَفَدَ كَبُرَتْ فَقُلْتُ إِنَّهُ

أي؛ فقلت: نعم لأن (إنه) بمعنى نعم.

وعلى هذا فإن كلا من (الذين) و (الصابئون) و (النصارى)، أسماء مرفوعة إما محلاً، وأما: (الذين) فهي مبنية في محل رفع، و(النصارى) مرفوعة بضمه مقدرة لأنها اسم مقصور لا تظهر على آخره حركات. وإما لفظاً مثل: (الصابئون) فهي مرفوعة لفظاً بواو الجماعة⁽³⁾.

وعليه -كما كان في المذهب الأول- فلا خطأ في الآية كما زعم "جورج سال" و"نولدكه" ومن جاء بعدها.

أما المفسرون فقد اختار الزمخشري (ت538هـ) منهم المذهب الأول المعزو إلى جمهور علماء البصرة، فقال: «(والصابئون) رفع على الابتداء، وخبره محذوف، والنية به التأخير عما في حيز (إن) من اسمها وخبرها، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابئون كذلك، والصابئون كذلك»⁽⁴⁾.

(1) - ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص: 95. وينظر: عبد العظيم المطعني، حقائق الإسلام في مواجهة شبكات المشككين، إشراف وتقديم: محمود حمدي زقزوق، مطابع الأهرام التجارية، قلوب- مصر، (د.ط.)، 2002، ص: 169.

(2) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص: 95، 96.

(3) - ينظر: منقذ بن محمود السقار، تنزيه القرآن الكريم عن دعاوي المبطلين، رابطة العالم الاسلامي، مكة المكرمة، السعودية، ص: 217.

(4) - الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج2، ص: 272.

وقال الإمام الشوكاني (ت1212هـ): «(والصابئون) مرتفع على الابتداء، وخبره محذوف والتقدير: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون والنصارى كذلك»⁽¹⁾.

وعليه يمكن جعل (النصارى) مرفوعة عطفاً على (الصابئون) ولا حاجة إلى جعلها منصوبة عطفاً على (إن الذين آمنوا)، والواقع أن هذا المذهب - على جملته - الذي ذهب إليه جمهور علماء البصرة وتابعهم فيه الإمام الشوكاني هو أقوى ما أورده النحاة في توجيه رفع (الصابئون) في هذه الآية الكريمة. أما بقية الآراء فهي دون ذلك بكثير⁽²⁾.

لم يطلع أمثال تيودور نولدكه وجورج سال جولدتسيهز وجاك بيرك لمثل هذه الظواهر النحوية وإنما نجدهم يسوقون أحكاماً غير مستندة إلى قراءة متأنية للنحو العربي، ولذلك نجدهم يقولون إنها أخطاء ارتكبتها الناصخمشيرين إلى تلك الأكنوبة التاريخية القائلة بأن الحجاج بن يوسف الثقفي سمح لنفسه بتصحيح بعض من المظاهر غير المنتظمة⁽³⁾ «وقالوا زوي عن عثمان رضي الله عنه، أنه حين عرض عليه المصحف قال: أحسنتم وأجملتم، إنَّ في القرآن لحناً ستقيمه العرب بألسنتها، وري عن عكرمة أنه قال: لما كتبت المصاحف عرضت على عثمان فوجد فيها حروفاً من اللحن فقال: لا تغيروها فإن العرب ستغيرها، أو قال: ستعربها بألسنتها»⁽⁴⁾، فأقر جاك بيرك جازماً بوجود تفرد نحوي للغة القرآنية كما أثبت أستاذه نولدكه ما سماه بانعدام اللانتظام⁽⁵⁾ وفي مبحث آخر من تعليقاته عتونه بـ(مغامرات قالب الفعل)⁽⁶⁾، نجد نجد "جاك بيرك" يُلقي بذور الشك في نظام الأفعال والأسماء، فالأصل في الفعل القرآني الفهم والإعلام وقد بلغ مرتبة الإعجاز.

(1) - محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، أعنى به وراجع أصوله: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط4، 2007، ص: 385.

(2) - ينظر: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، الدرر المصون في علم الكتاب المكنون، ج4، ص: 353 وما بعدها.

(3) - ينظر: تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ج3، ص: 443.

(4) - محمد بن محمد أبوشهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، ط2، 1987، ص: 367.

(5) - ينظر: جاك بيرك، إعادة قراءة القرآن، ص: 95، 96.

(6) - ينظر: المرجع نفسه، ص: 103.

كان أن اعتقد المستشرق "بيرك" فعلاً مبنياً للمجهول (يُضِلَّحًا) بضم الياء في الآية القرآنية التالية: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُضِلَّحَا بَيْنَهُمَا ضُلْعًا وَالضُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾⁽¹⁾ قرأه جاك بيرك (يُضِلَّحًا) أي مبنياً للمجهول، والحقيقة أنه مبني للمعلوم (يُضِلَّحًا) بفتح الياء وفتح اللام. لأن قراءة العامة (أَنْ يُضِلَّحَا)؛ ولأن الفعل -حسب زعمه- له علاقة بالبرهنة التفسيرية التي يحاول النص إنزالها في نفوس المشركين وهذا ضرب من التأويل المفتقر إلى السداد.

وجاء في الآيتين الثالثة والرابعة من سورة البقرة اللتين يقول فيهما عز وجل: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾⁽²⁾.

يأتي "جاك بيرك" أحكامه في الآيتين، والشاهد عنده ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾، إنها تتعارض مع ما جاء في سورة النمل التي يقول فيها عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلْقِي الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾⁽³⁾.

فغلاً إن القارئ سيسلم بقراءته إذا لم يتحرر صحة الافتراض عندما استنتج بأن الرسول صلى الله عليه وسلم في الآية الأولى ينزل عليه القرآن وفي الآية الثانية يلقي القرآن. والصواب أنه أخطأ في قراءة الفعل (تُلْقِي) بضم التاء

وفتح القاف المشددة، إذ قرأه (لِتُلْقِي)⁽⁴⁾.

كما حاول المستشرق اليهودي الأصل "جولدتسيهر"^(*)، أن يتخذ من حرية القراءة الممارسة على نصوص العهد القديم والجديد مدخلاً لإيجاد التعارض والتناقض بين حرية القارئ وقد خصص في

(1) - سورة النساء، الآية : 128.

(2) - سورة البقرة، الآيتين: 3، 4.

(3) - سورة النمل، الآية: 06.

(4) - ينظر: جاك بيرك، إعادة قراءة القرآن، ص: 104.

(*) - إجناسجولدتسيهر (1850-1921م) Ignaz Goldziher: ولد في أسرة يهودية في المجر عرف بعدائه للإسلام وبخوره كتاباته عنه، ويعتبر من محرري (دائرة المعارف الإسلامية)، درس في برلين ثم انتقل إلى جامعة ليبسك والتحق فيها بقسم الدراسات الشرقية. رحل إلى القاهرة وسوريا وحضر بعض الدروس في الأزهر. عمل في جامعة بواديس في مجال الدراسات العربية الإسلامية، أصبح أستاذ اللغات السامية عام 1894م. كتب كثيراً حول الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخاً، وكان له تأثير في الدراسات الاستشراقية حتى يومنا هذا

طرحه قارئان مقيمين هما التحوي والمتكلم؛ ذلك أنَّ التحوي في رأيه بإمكانه أن يُعَيَّر نسق النَّصِّ الأصلي بحسب ما تقتضيه القاعدة النحوية وهو لا يرى حَرَجًا في ذلك، كما أنَّ المتكلمين اشتهروا في التراث الإسلامي والفكري بمغالاتهم في استخدام العقل ولو كان ذلك على حساب النص، وقد وجد هذا المستشرق متكأً عنده في إمكانية إطلاق حرية القراءة والتأويل في قراءة النص القرآني.

وعموماً فقد توهم الرجل وراء ذلك كله أنَّ النص القرآني مُعَرَّض لخطر حرية القراءة وأنَّ بالإمكان أن يجري عليه ما جرى على كتب التوراة والإنجيل وبالتالي يُصبح في نظره نص قديم أصلي ونصوص أخرى هي من قبيل القراءات المُتَحَرِّرة.

يقول جولدتسيهر: «والمتكلمون على وجه الخصوص هم الذين لم يرتضوا الحد من حريتهم تجاه النص القرآني المأثور وهم يقولون أنه يُسَوَّغُ إعمال الرأي والاجتهاد في إثبات قراءة وأوجه وأحرف إن كانت تلك الأوجه صواب في العربية وإن لم يثبت أن النبي قرأ بها»⁽¹⁾

وتأمل أولاً قوله: «والمتكلمون على وجه الخصوص» فهذه العبارة تُوهم أنَّ كلَّ المتكلمين هم على هذا الرأي وليس فريق منهم فقط، كذلك تعبيره: «لم يرتضوا الحد من حريتهم» توهم أنَّ عبارة السيوطي (ت911هـ) في قوله: «وقال قوم من المتكلمين إنَّه يسوغُ إعمال الرَّأي والاجتهاد في إثبات قراءة وأوجه وأحرف؛ إذا كانت تلك الأوجه صواباً في العربية، وإن لم يثبت أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بها، وأبى ذلك أهلُ الحق، وأنكروه وخطئوا من قال به»⁽²⁾ فهو فريق منهم لا كلهم، وهو فريق ضعيف، لأنه غير أهل الحق، وهذا عكس ما أوهم به.

حيث انتشرت كتبه في مختلف اللغات الأوروبية، من مؤلفاته: العقيدة والشرعية في الإسلام، وكتاب: مذاهب التفسير الإسلامي؛ نقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجار. ينظر: عبد الرحمان بدوي، موسوعة المشرقين، ص: 197 وما بعدها.
(1) - جولدتسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي - مصر، مكتبة المثنى، بغداد - العراق، (د.ط)، 1955. ص: 62.

(2) - جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ص: 217.

وقد حاول "جولدتسيهر" جاهداً إيجاد تناقض بين صيغة النص المروية الدقيقة والوضع من طرف اللغويين والقاعدة النحوية المطردة الاستعمال، وهو تناقض في رأيه يقود في الغالب إلى الخلاف بين علماء اللغة.

إذ يرى عالم الدين في رأيه أن تدخل اللغوي حتى وإن كانت قاعدته مضبوطة ودقيقة - لا يمكن أن تبلغ التغيير من صيغة النص المأثور حتى وإن كان يخالف القاعدة ويقول في ذلك: «وكان بغيضاً إلى علماء العربية على وجه الخصوص على الرغم من أنهم عادة كانوا يبذلون جهوداً كبيرة في تسوية مشاكل القرآن اللغوية بدون أن يتناول النص المأثور بشيء من التغيير»⁽¹⁾.

إن القواعد النحوية هي التي تخضع للقراءة، ولا تخضع القراءة للقواعد النحوية، لأن القرآن الكريم بجميع قراءاته ورواياته نزل على أفصح لغات العرب، وأكثرها دُيوعاً وانتشاراً، والقواعد النحوية مستنبطة من كلام العرب منثورة ومنظومة، كما أنها مستنبطة من القرآن الكريم، ومن السنة النبوية، فالكلام العربي وفي مقدمته القرآن الكريم مصدر هذه القواعد، منه نشأت، وعنه أخذت فهو الأصل، وهي الفرع، ولا يعترض بالفرع على الأصل.

وقد اعترف "جولدتسيهر" بهذه الحقيقة التي ذكرناها فقد قال: «فالقرآن يقدم المقياس المصحح للاستعمال العربي الصحيح لا العكس»⁽²⁾، فهذا اعتراف منه بخضوع الأساليب العربية للقرآن لا خضوع القرآن للأساليب العربية.

والقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَسْمَعُونَ﴾⁽³⁾، والعرب لم تعرف قواعد اللغة إلا بعد الإسلام وقد وضعها المسلمون كالخليل بن أحمد وسيبويه وغيرهما واستنبطوها من القرآن أولاً ثم من أشعار العرب ومأثوراتها ثانياً، فكيف يحاكم القرآن إلى قواعد وجدت بعده بل أخذت منه؟.

(1) - جولدتسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، مذاهب التفسير الإسلامي، ص: 65، 66.

(2) - المرجع نفسه، ص: 68.

(3) - سورة الزمر، الآية: 28.

وقد حاول هذا المستشرق إيجاد لبس في اختلاف الحركات الذي يتوقف عليه نظام تركيب الجملة في الآية والتي تعكس صور من الاختلاف الفقهي ويقدم المثال الأصيل لذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾⁽¹⁾.

يقول جولدستين: « فالرخصة المفروضة التي قال بها الشيعة، ومن الاكتفاء عند الوضوء بمسح ما يغطي الرجلين بدلاً من غسلها، مبنية على عطف (وأرجلكم) على (رؤوسكم) المجرور بالباء على حين أنَّ وجوب غسل الرجلين مبني على عطفه منصوباً (وجوهكم) المنصوب مفعولاً لقوله (فاغسلوا) أي: فاغسلوا وجوهكم... وأرجلكم»⁽²⁾؛ فهناك من قرأ (أرجلكم) بالنصب وهناك من قرأه بالخفض؛ حيث قرأ كل من نافع وابن عامر والكسائي وحنظلة بنصب (أرجلكم) وقرأ الباقر بالخفض (أرجلكم)، وحجّة من نصب أنه عطف (أرجلكم) على الوجوه والأيدي فدلّ على أنَّ الأرجل حكمها الغسل كالوجه⁽³⁾، وفي قراءة بالخفض (أرجلكم) «عطفًا على رؤوسكم لفظاً ومعنى؛ لأنها أقرب إلى الأرجل من الوجوه، ثم نسخ بوجوب الغسل، أو بحمل المسح على بعض الأحوال، مراعاة لعدم الإسراف في الماء لأنها مظنة لصب الماء كثيراً، فعطفت على المسح والمراد الغسل»⁽⁴⁾. وهناك من قرأ بكسر لام (أرجلكم) «أي أنه لاحظ أنها مجرورة مثل (رؤوسكم) الواقعة في خبر الفعل (امسحوا) فحكمها المسح، وليست بضبط وجوهكم وأيديكم الواقعتين في خبر الفعل (فاغسلوا) فيكون حكمها الغسل»⁽⁵⁾.

يُورد "جولدستين" أمثلة كثيرة لقراءات اقتضتها ضرورة المطابقة بين قواعد النحو الدقيقة وبين صيغ لفظية وتراكيب جمالية تخالفها يقول تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾⁽⁶⁾ في هذه الآية الكريمة يقول جولدستين: «حيث يعود ضمير المذكر (اقتتلوا) على مثنى المؤنث (طائفتان) فقد أراد بعض القراء

(1) - سورة المائدة، الآية: 06.

(2) - جولدستين، مذاهب التفسير الإسلامي، ص: 14.

(3) - ينظر: مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، ص: 406.

(4) - المرجع نفسه، ج1، ص: 407.

(5) - أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج4، ص: 210 وما بعدها.

(6) - سورة الحجرات، الآية: 09.

مطابقة قواعد النحو فقرأ أحدهم (اقتتلًا) واكتفى آخر بقراءة (اقتتلا)⁽¹⁾، وكأَن هذا يريد أن يقول أنه يجب أن يثنى الضمير العائد على المثنى فيقول: طائفتان اقتتلتا.

هناك طريقتان من طرق التعبير اللغوي الفصيح وهما: طريقة مراعاة اللفظ وطريقة ومراعاة المعنى، فحيث جمع القرآن الضمير العائد على المثنى فهو من استعمالات الطريقة الثانية التي يُراعى فيها جانب المعنى على جانب اللفظ.

وإنما استشهد جولدتسيهر بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾⁽²⁾. وغاب عن ذهنه سر لغوي عجيب والذي ظهر في ثنايا النظم القرآني وقد أعيد الضمير جمعاً (اقتتلوا) هذا في جملة الخبر، مع أن المبتدأ مثنى (طائفتان)؛ وذلك لأن هذا اللفظ مثنى غير حقيقي بل هو مثنى في اللفظ جمع في المعنى، وفي هذه الآية راعى النظم القرآني المعجز المعنى في جملة الخبر وحدها (اقتتلوا) ثم راعى بقية اللفظ في بقية الآية: ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾⁽³⁾.

وكلا المنهجين فصيح صحيح بليغ والذي سَوَّغ مراعاة المعنى في (اقتتلوا) وقوعه بعد جمع هو (المؤمنين) وليس فوق ذلك درجة من الصحة والإصابة، وإن كره الحاقدون.

نُفِيد من هذا أنَّ نظم القرآن الكريم لا تَوَظَّره القواعد التحوية فحسب وإنما تَوَظَّره قواعد أبلغ من ذلك قواعد لا يسبر أغوارها إلا من اهتدى إلى أسرار إعجازه ونظمه وأوتي من سحر البراعة والفصاحة ما يسعفه في استكناه مكامن روعته وسحره وجماله.

ويضيف "جولدتسيهر" مثلاً آخر يحاول فيه توسيع دائرة الخلاف بين علماء اللغة مُسْتَشْهِداً هذه المرة بالزمخشري (ت538هـ) حيث يقول: «ولم يسلم أيضاً الزمخشري الدقيق التفكير من التخطئة اللاذعة من ذلك الجانب نفسه بسبب مثل هذه الافتراضات اللغوية»⁽⁴⁾ ويستشهد بقوله تعالى:

(1) - جولدتسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ص: 66.

(2) - سورة الحجرات، الآية: 09.

(3) - سورة الحجرات، الآية: 09.

(4) - جولدتسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ص: 67.

﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ لِيُزْدُوهُمْ﴾⁽¹⁾ فيقول: «وهي آية وردت في تركيبها الجمل قراءات كثيرة منها أيضا قراءة لابن عامر: ﴿زَيْنٌ...قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ﴾ على الفصل بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول ولكن هذا التثنية النحوي لم يوافق الذوق النحوي الدقيق عند الزمخشري...حيث يقول: «والفصل بينها بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سميحاً مردوداً فكيف به في القرآن المعجز بحسب نظمه وجزالته»⁽²⁾.

الملاحظ أنّ جولدتسيهر حاول إيجاد أطرافاً بعينها في الخلاف الذي كان يزعّمه بين رجال الدين ورجال اللغة وذلك حين ضعّف قراءة ابن عامر مؤيداً قوله بما نقله عن الزمخشري وغيره بتضعيف هذه القراءة للفصل بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول للتثنية في التركيب ناسباً الجهل للزمخشري في معرفة أنّ هذه القراءة متواترة قرأها النبي صلى الله عليه وسلم.

إنّ هاتان القراءتان متواترتان، صحّ قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم، عن جبريل عليه السلام، كما صحّ تلقّي الصحابة رضوان الله عليهم عنه، ولم يخالف قراءة الجمهور إلا ابن عامر الذي قرأ (زَيْنٌ) بضم الزاي وكسر الياء وقد نسب بعضهم الضعف لهذه القراءة بسبب التفريق بين المضاف والمضاف إليه ولكنهم جوزوه في الشعر فقط وعدوا إجازته في القرآن بعيدة، أما أهل الكوفة فيجوزون التفريق بين المضاف والمضاف إليه على الإطلاق وقد ذكروا أنّ الفصل بينهما قاعدة صحيحة ولكنها قليلة الاستعمال وعليها شواهد عدة⁽³⁾.

أما قراءة الجمهور (زَيْنٌ) بفتح الزاي والياء على ما يُستقى فاعله ونصبوا (قَتَلَ) بـ(زَيْنٌ) وخفضوا (الأولاد) لإضافة (قَتَلَ) إليهم حيث أضافوه للمفعول ورفعوا (شُرَكَاءُهُمْ) بفعلهم التزيين فهو الأصل والمصدر يضاف إلى المفعول به أو إلى الفاعل، لأنه هو أحدثه ولأنه لا يستغني عنه ويستغني عن المفعول، وإثما جاز أن يُضاف إلى المفعول كما جاز أن يُقدّم المفعول مقام الفاعل. ولا يحسن أن يرتفع

(1) - سورة الأنعام، الآية: 137.

(2) - المرجع نفسه، ص: 68.

(3) - ينظر: مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، ص: 453، 454.

(الشركاء) بالقتل، لأنه يبقى (زين) بغير فاعل (والشركاء) ليسوا قاتلين، إنما هم مزينون، والقاتلون هم المشركون حيث زين لهم شركاؤهم قتل أولادهم⁽¹⁾.

فعلى هذا يظهر لنا صحة القراءتين. أما طعن جولدتسيهر بالقراءة السبعية ليس بحجة على ثبوت قراءة صحيحة أو عدم ثبوتها فالقراءة عندنا سُنَّة مُتَّبَعَةٌ إن ثبتت لا حجة لأحد لإبطالها عقلاً أو لغة أو غير ذلك فالقراءة الصحيحة حجة على اللغة وغيرها وليس العكس.

وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾⁽²⁾.

يقول جولدتسيهر: «ومثل هذا السؤال لا يمكن أن يكون صدر على لسان الحواريين، لهذا قرأ بعضهم مع اختصار للتراكيب ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ بمعنى هل تستطيع سؤال ربك، أي تجعله يفعل ذلك بناءً على سؤالك إياه»⁽³⁾.

المسترق "جولدتسيهر" الذي يؤهنا ببخوئه أنه عليم بأقدس مقدساتنا يقول إن هذا السؤال لا يمكن أن يكون صدر على لسان الحواريين وهو يعلم، أن سؤال البشر أنبياءهم معجزات برهنة على صدقهم أو طلباً لترسيخ الإيمان عند من آمن منهم هو أمر وارد، بل هو الموقف الأصلي في مثل هذا المقام، بل إن الأنبياء - وهم أرسخ إيماناً من الحواريين - يطلبون ما يزيدهم إيماناً ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾⁽⁴⁾، وسيدنا موسى ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي أَفْظُرْ إِلَيْكَ﴾⁽⁵⁾، واليهود قوم جولدتسيهر ﴿سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً﴾⁽⁶⁾.

فقول جولدتسيهر ومثل هذا السؤال يعني هل يستطيع ربك بقاء الغيب ورفع باء ربك لا يمكن أن يكون صدر على لسان الحواريين معناه إنكار هذه القراءة والغاؤها مع أنها قراءة ستة من الأئمة

(1) - ينظر: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، اللز المصون في علوم الكتاب المكنون، ج5، ص: 161، 162، 163.

(2) - سورة المائدة، الآية: 112.

(3) - جولدتسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ص: 36، 37.

(4) - سورة البقرة، الآية: 260.

(5) - سورة الأعراف، الآية: 143.

(6) - سورة النساء، الآية: 153.

السبع أصحاب القراءات التي أجمعت الأمة على صحتها وتواترها، في حين قرأ الكسائي (هل تستطيع ربك) بالتاء ونصب (ربك) مع إدغام اللام من (هل) ⁽¹⁾، «أي: هل تستطيع أنت أن تسأل ربك الإنزال، فيكون المصدرُ المقدّرُ مضافاً لمفعوله الأول وهو (ربك) فلَمَّا حُذِفَ المصدر انتصب» ⁽²⁾.

وحجة من قرأ بالتاء أنه أجراه على مخاطبة الحوارين لعيسى، وفيه معنى التعظيم لله سبحانه وتعالى، على أن يستفهم عيسى عن استطاعته، إذ هو تعالى مُستطيع لذلك، فإنمّا معناه، «أي: هل تُطيق إنزال الله تعالى مائدة بسبب دعائك؟» ⁽³⁾، يعني هل تستطيع سؤال ربك إنزال مائدة علينا.

أمّا القراءة التي ادّعى أنها غير لائقة، لها أكثر من معنى شديد فحمة (هل يستطيع ربك) كما ذكر القرطبي (ت671هـ) بقوله: «إنّ القوم لم يشكوا في استطاعة الباري سبحانه؛ لأنهم كانوا مؤمنين عارفين عالمين، وإنمّا هو قولك للرجل: هل يستطيع فلان أن يأتي، وقد علمت أنه يستطيع، فالمعنى: هل يفعل ذلك؟ وهل يجيبني إلى ذلك أم لا؟ وقد كانوا عالمين باستطاعة الله تعالى لذلك ولغيره علم دلالة وخبر ونظر، فأرادوا علم معاينة لذلك؛ كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتَى﴾ ⁽⁴⁾ وقد كان إبراهيم علم ذلك علم خبر ونظر، ولكن أراد المعاينة التي لا يدخلها ريب ولا شبهة؛ لأن علم النظر والخبر قد تدخله الشبهة والاعتراضات، وعلم المعاينة لا يدخله شيء من ذلك؛ ولذلك قال الحواريون: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا﴾ ⁽⁵⁾ كما قال إبراهيم: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾ ⁽⁶⁾.

وفي زعم آخر يذهب "جولدتسيهر" إلى أن بعض القراءات عُثِرَ من أجل دفع شبهة دينية تنزيهاً للرسل عليهم السلام، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَلُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشْأَةٍ لَا يَرُدُّ بِأُسْنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ⁽⁷⁾.

(1) - ينظر: مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، ص: 422.

(2) - أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج4، ص: 501.

(3) - المرجع نفسه، ج4، ص: 502.

(4) - سورة البقرة، الآية: 260.

(5) - سورة المائدة، الآية: 113.

(6) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص: 285.

(7) - سورة يوسف، الآية: 110.

يقول جولتسير: «والمعضلة هنا الكلمات ﴿وَضَلُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا﴾ بالبناء للمعلوم، أي صدر عنهم الكذب، إذ لا شك أن هذه هي القراءة الأصلية...بيد أن كون الأنبياء قد ظنوا أنهم كذبوا أي صدر عنهم الكذب أمر لا يستطيع مؤمن صادق الإيمان أن يتحمله ويتقبله، فبدا من الأهمية بمكان إيجاد حل لهذا الإشكال...فقد قرأ بعضهم بدلا من كذبوا بالبناء للمعلوم، (كُذِّبُوا)، أو (كُذِّبُوا)، بالتخفيف والتشديد على البناء للمجهول»⁽¹⁾.

في هذه الآية الكريمة ثلاث قراءات⁽²⁾:

الأولى: (كُذِّبُوا) بضم الكاف وتشديد الذال مكسورة.

الثانية: (كُذِّبُوا) بضم الكاف وتخفيف الذال مكسورة.

الثالثة: (كُذِّبُوا) بفتح الكاف والذال مخففة.

والقراءتان الأولى والثانية متواترتان والثالثة شاذة.

والمعنى في القراءة بالتشديد في الأولى: «أيقن الرسل أن أمهم كذبوهم في دعوى الرسالة وفي كل ما جاءوا به من عند الله تعالى تكذيباً لا يرجى معه الإيمان أصلاً لأن هؤلاء القوم لا خير فيهم وليس عندهم استعداد ما للإيمان فحينئذ دعا الرسل على القوم فنصر الله الرسل ومن آمن بهم فالضمير (هم) في (أنهم) يعود على الرسل. والتقدير: وأيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيما جاءوهم به من عند الله تعالى، ودليلهم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾⁽³⁾ وقوله: ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾⁽⁴⁾»⁽⁵⁾.

وقد روي عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: «هم أتباع الرسل الذين آمنوا بهم وصدقوهم فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل من كذبهم من قومهم، وظنت

(1) - جولتسير، مذاهب التفسير الإسلامي، ص: 41، 42.

(2) - أحمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج2، ص: 114.

(3) - سورة الأنعام، الآية: 34.

(4) - سورة سبأ، الآية: 45.

(5) - مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج2، ص: 15.

الرُّسْلُ أَنَّ أَتْبَاعَهُمْ كَذَّبُوهُمْ جَاءَهُمْ نَصْرُ اللَّهِ عِنْدَ ذَلِكَ»⁽¹⁾ والمعنى ظن الرسل أَنَّ الذين آمنوا بهم كذبوهم.

والمعنى في القراءة الثانية بالتخفيف فوجهت بوجهين⁽²⁾:

الأول: أَنَّ الضميرَ في (وظنُّوا) يعود على القوم المكذبين للرُّسْل المدلول عليهم بذكر الرسل، لأن الرُّسْل تستدعي مُرسلاً إليهم، أو لتقدمهم في الذكر في قوله تعالى: ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾⁽³⁾ فيكون الضمير للذين من قبلهم ممن كذبوا الرُّسْل، والضمير في (أنهم) يعود على الرُّسْل وكذلك الضمير في (كذبوا) يعود عليهم. والمعنى: وظنَّ القوم المرسل إليهم أَنَّ الرُّسْل قد كذبوا فيما وعدوا به من النَّصْر على أعدائهم.

الثاني: أَنَّ الضميرَ في (وظنُّوا) وفي (أنهم) وفي (كذبوا) فالضائر الثلاثة عائدة على الرسل، وقال الزمخشري (ت538هـ) في تقدير هذا الوجه: «حتى إذا استنيسوا من النَّصْر وظنُّوا أنهم قد كذبوا ، أي: كذبهم أنفسهم حين حدَّثتهم أنهم يُنصرون أو جاؤهم لقولهم: رجاء صادق، ورجاء كاذب، والمعنى: أنَّ مدة التكذيب والعداوة من الكفار، وانتظار النَّصْر من الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتماذت، حتى استشعروا القنوط، وتوهَّموا ألاَّ نصَّر لهم في الدنيا فجاءهم نصْرنا»⁽⁴⁾. فقد جعل الفاعل المقدر «إمَّا أنفسهم، وإمَّا رجائهم، وجعل الظنَّ بمعنى التوهم فأخرجه عن معناه الأصلي وهو تَرَجُّح أحِدِ الطرفين، وعن مجازه وهو استعماله في المُتَيَقَّن»⁽⁵⁾.

أما القراءة الثالثة قال القرطبي (ت671هـ) في تأويل هذه القراءة، وهي قراءة مجاهد: «وظنَّ قومُ الرُّسْل أَنَّ الرُّسْل قد كذبوا، لِمَا رَأَوْا من تَفَضُّلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عليهم في تأخير العذاب. ويجوز أن يكون المعنى: ولَمَّا أَيقَنَ الرُّسْل أَنَّ قومهم قد كذبوا على الله بكفرهم، جاء الرُّسْل نصرنا»⁽⁶⁾.

(1) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص: 473.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ج11، ص: 471، 472. وينظر: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، الدُّرُ المصون في علوم الكتاب

المكنون، ج6، ص: 563، 564.

(3) - سورة يوسف، الآية: 109.

(4) - الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، ج3، ص: 330.

(5) - أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، الدُّرُ المصون في علوم الكتاب المكنون، ج6، ص: 564.

(6) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص: 473.

يقول مترجم كتاب جولدسمير الدكتور عبد الحليم النجار: «عرفت أنه لا وجهة لادعاء قراءة أصلية أو غير أصلية وقد جهل المؤلف غرض النص الحاصل على جميع القراءات، وهو المبالغة في تصوير حالة اليأس عند الأنبياء عليهم السلام من الاستجابة إلى دعوتهم»⁽¹⁾.

وبهذا يتضح لنا أن هذا المستشرق أفصح عن حقيقته العلمية حيث أخذ الرواية الشاذة (كذبوا) بالبناء للمعلوم وقدمها على القراءات الصحيحة المتواترة مما يدل على عدم نزاهته العلمية.

وعلى هذه الشاكلة يزعم المستشرق الإنجليزي (جورج سال) أن في القرآن الكريم كلام مبتوراً وناقضاً وهذا يتضح من عدم استقامة الكلام في بعض الآيات القرآنية ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾⁽²⁾.

يقول المستشرق جرج سال: «فهذه الآية تعاب من وجهين أحدهما أنه عطف فيها المضارع على الماضي فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ﴾، وكان الأبعد في هذا الموطن أن يقول (وصدوا) والثاني أنه لم يأت بخبر (إن) فلم يتم الكلام بل بقي سامعه منتظراً شيئاً، ثم أردف هذه الآية بقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾، فهذا أيضاً كلام ناقص لأنه جاء فيه بفعل مُتَعَدٍ وهو (يُرِدْ) ولم يأت بمفعوله ثم قال: ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾، وكان المقام يقضي أن يقول (العذاب الأليم أو عذاباً أليماً) بحذف من البعضية، اللهم إلا أن يكون أراد التبعض فيصبح حينئذ من الكلام مبناه لكن يفسد مغزاه، إذ تذهب النكتة المرادة به وهي الوعيد الشديد لمن يريد فيه إلحاد بظلم فيطمع أنه لا يُصِيبُهُ إلا بعض العذاب الذي يستحقه»⁽³⁾.

بالنسبة للقضية الأولى عطف المضارع على الماضي فقد أجاب عنها العلماء بأقوال منها:

(1) - جولدسمير، مذاهب التفسير الإسلامي، هامش ص: 42.

(2) - سورة الحج، الآية: 25.

(3) - جورج سال، مقالة عن الإسلام، تذييل الفصل الثالث أسرار عن القرآن، ص: 452، 453.

- «أعاد الكلام إلى مشركي العرب حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم - عن المسجد الحرام عام الحديبية، وذلك أنه لم يعلم لهم صد قبل ذلك الجمع؛ إلا أن يريد صدهم لأفراد من الناس، والصد: معناه المنع؛ أي وهم يصدون، وبهذا حسن عطف المستقبل على الماضي»⁽¹⁾.

- أن يقال فلان يحسن إلى الفقراء ويعين الضعفاء لا يراد به حال ولا استقبال، وإتيا يراد استمرار وجود الإحسان منه في جميع أزمنته وأوقاته فكأنه قيل: إن الذين كفروا من شأنهم الصد كما جاء في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾⁽²⁾⁽³⁾.

ذكر أبو علي الفارسي (ت 377هـ) التقدير: «إن الذين كفروا فيما مضى، وهم الآن يصدون ويدخل فيه أنهم يفعلون ذلك في المال والمستقبل والإتيان بالفعل المضارع فيه زيادة فائدة وهي إفادته التجدد والحدوث المستمر إذ لم يلحظ منه زمان معين من حال أو استقبال وهذا ما يلحظ في فعل (ويصدون)»⁽⁴⁾.

- نجد بعض النحاة يميز عطف المضارع على الماضي أو العكس لذلك يقال هو مضارع أريد به الماضي عطفاً على كفروا.

- أن يقال «هو على إضمار مبتدأ أي: وهم يصدون»⁽⁵⁾.

- عدها بعضهم من الالتفات من الماضي إلى المستقبل وبالعكس لحكمة وهي أن الكفر لما كان من شأنه إذا حصل أن يستمر حكمه عبر عنه بالماضي ليفيد ذلك مع كونه باقياً أنه قد مضى عليه زمان، ولا كذلك الصد عن سبيل الله فإن إنما يُثبت حال حصوله ويعني بذلك فهو في كل وقت كافر ما لم

⁽¹⁾ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 14، ص: 350.

⁽²⁾ - سورة الرعد، الآية: 28.

⁽³⁾ - ينظر: المرجع نفسه، ج 14، ص: 350.

⁽⁴⁾ - فخر الدين الرازي، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1981، ج 23، ص: 24.

⁽⁵⁾ - أي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1، 1993، ج 6، ص: 336.

يأت بالإيمان ولا كذلك الصد عن سبيل الله ومع ذلك فإن الفعل المستقبل فيه إشعار بالكثير فيكون قوله: ﴿وَيُضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ مستشعرًا بأنهم في كل وقت كذلك⁽¹⁾.

أما القضية الثانية وهي زعمه أنه لم يأت بخبر (إن).

- قدّر القرطبي (ت671هـ) خبر (إن) محذوف مقدر عند قوله (والباد) تقديره: خسروا إذا هلكوا⁽²⁾، وقدّره الزمخشري (ت538هـ) بعد (الحرام) وتقديره: نذيقهم من عذاب أليم، حيث قال: «وخبر (إن) محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره: إن الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم، وكل من ارتكب فيه ذنبًا فهو كذلك»⁽³⁾.

- قيل الواو في (ويصدون) زائدة وهو خبر (إن) وتقديره: إن الذين كفروا يصدون، ويرى القرطبي أن هذا مفسد للمعنى⁽⁴⁾.

- قيل: (يصدون) حال من فاعل (كفروا) وخبر (إن) محذوف دل عليه آخر الآية أي معذبون⁽⁵⁾.

فيكون المعنى للآية: إن الذين كفروا ومستترون في صدهم عن سبيل الله معذبون في نار جهنم.

فمن هنا يظهر أن المعنى ليس فيه بتر كما يدعي هذا المستشرق بل هو تام بالتقدير، ولكن هذا الأمر يصعب فهمه وإدراكه على هؤلاء المستشرقين الذين لا يدركون أسلوب العربية وأسرارها.

أما فيما يخص زعمه أنه جاء بفعل متعد وهو (يرد) ولم يأت بمفعوله، وكان المقام أن يقول (العذاب الأليم أو عذابا أليما) بحذف من البعضية.

- فبالنسبة لمفعول (يرد) للعلماء فيه أقوال منها: هو إلحاد والباء زائدة في المفعول كقوله: (ولا تلقوا بأيديكم)⁽⁶⁾.

(1) - ينظر: الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، ج4، ص: 184، 185.

(2) - ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص: 350.

(3) - المرجع السابق، ج4، ص: 185.

(4) - ينظر: المرجع السابق، ج14، ص: 350.

(5) - ينظر: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج8، ص: 255.

(6) - أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج8، ص: 260.

- منهم من ذكر فعل (يرد) مما ترك مفعوله، وذكر حكمة تركه الزمخشري بقوله: «وذلك ليتناول كل متناول كئنه قال: ومن يرد فيه مرادًا ما عادلا عن القصد ظالما ﴿ثُمَّ يُدْفَعُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾⁽¹⁾ يعني: أن الواجب على كل من فيه أن يضبط نفسه، وسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهيم به ويقصده»⁽²⁾.

- أما بالنسبة لحرم مكة ما ذكره القرطبي أنه بمجرد الهم بالمعصية يعذب عليها الإنسان وفي ذلك مبالغة في الزجر والنهي عن الإحداث فيه، وهذا ليس فيه أدنى تشجيع لاقتراف الآثام⁽³⁾ كما زعم المستشرق جورج سال.

أما بالنسبة لـ (من) ففيها قولان:

1- أن تكون (من) للجنس أو للتبويض، ولكل معنى من المعنيين مغزاه وفوائده. فإذا كانت (من) للجنس يبقى التهديد والوعيد على أصله وبابه من حيث هددوا بإذابة العذاب الأليم.

2- أما إذا كانت (من) للتبويض فمعناه أن إرادة الظلم والإلحاد والهم بهما أقل من ارتكابهما فعلا، فتبقى عقوبة الإرادة والهم أقل من عقوبة من ظلم، ويناسب الفعل المقام في أن تأتي (من) التبعية في السياق فيكون إذاقته ﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي بعض أنواع العذاب الأليم⁽⁴⁾.

فمن هنا يظهر أن كل تخيلات المستشرق "جورج سال" باطلة وتدل على جملة بالأسلوب العربي البديع وما يحويه من أسرار ودقائق.

خاتمة:

(1) - سورة الحج الآية: 25.

(2) - الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، ج4، ص: 185.

(3) - ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص: 356.

(4) - ينظر: الحسن بن قاسم المرادي، الحني الثاني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص: 8-9.

هذه بعض الشبهات التي قام المستشرقون باستخراجها وأطلقوا عليها الأخطاء النحوية في القرآن، بالبحث في كتب التفسير عما ذكره المفسرون من آيات أو كلمات لا تتبع القواعد العامة للغة، أو تتبع قواعد لم تنل حظها من الشهرة، أو عدم إدراكهم لأسرار البلاغة القرآنية في بعض المواطن، فلا يظن عاقل أن المستشرقين الأعاجم قاموا بأعراب القرآن الكريم كله ووجدوا فيه أخطاءً لم يجدها أي من العرب القراء والمفسرين بل أنه بعد أن سطر المسلمون علومهم اللغوية والنحوية في كتبهم، راصدين كل الظواهر بأمانة ونقد، أتى المستشرقون واقتطعوا من كلامهم ما ظنوه يخدمهم للتشكيك في هذا الدين.

وفي هذا الضوء يجب أن يكون الباحث مُنصفاً في التقويم والجرح والتعديل، ولا يتطلب من الحركة الاستشراقية أكثر مما تدعيه هي لنفسها، وهذا لا يعني أن نُغض الطرف عن الأخطاء الطائفة إن وجدت، أو النزاعات المتطرفة، ولكن علينا أيضاً أن لا نتصور أنَّ المستشرقين أتقياء بررة، فنحملهم أكثر من طاقاتهم المتعارفة، فهم بشر، والبشر فيهم الصالح والطاح، فليس كل المستشرقين شياطين، فهم ملتزمون بعقائد معينة، وقد تفرض على بعضهم الموضوعية.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص.

1. ابن جني أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، 2007.
2. ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة- مصر، ط2، 1973.
3. أبوشهبة محمد بن محمد، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، ط2، 1987.
4. الأندلسي أبو حيان محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1993.

5.البنا أحمد بن محمد، إتخاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، حققه وقدم له شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط1، 1987.

6.الرازي فخر الدين محمد بن عمر، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1981.

7.الزمخشري محمود بن عمر، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، السعودية، ط1، 1998.

8.السمين الحلبي أحمد بن يوسف، الدرر المصون في علم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د.ط)، (د.ت).

9.السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، (د.ط)، (د.ت).

10.الشوكاني محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، اعتنى به وراجع أصوله: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط4، 2007.

11.العقيدنجيب، المستشرقون، دار المعارف، مصر، ط4، (د.ت).

12.القرطبي أبي عبد الله محمد بن عبد الله الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن حسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط1، 2006.

13.القيسي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط5، 1997.

14.المرادي الحسن بن قاسم، الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992.

15. المطعني عبد العظيم، حقائق الإسلام في مواجهة شبكات المشككين، إشراف وتقديم: محمود حمدي زقزوق، مطابع الأهرام التجارية، قيلوب- مصر، (د.ط)، 2002.
16. بدوي عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط3، 1993.
17. بيركجك، إعادة قراءة القرآن، ترجمة: وائل غالي شكري، تقديم: أحمد صبحي منصور، دار النديم للصحافة والنشر والتوزيع، ط1، 1996.
18. جبل محمد حسن حسن، دفاع عن القرآن أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن الكريم واللغة العربية، البربري للطباعة الحديثة، بسيون، مصر، د.ط، 2000.
19. جولدتسيهر إجناس، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة عبد الحلیم النجار، مكتبة الخانجي - مصر، مكتبة المثنى، بغداد- العراق، (د.ط)، 1955.
20. سالجورج، أسرار عن القرآن، الفصل الثالث من كتاب مقالة في الإسلام، معربة عن الانجليز بقلم هاشم العربي، مطبعة بعثة النيل، القاهرة، ط2، 1914.
21. سيويهميرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، كتاب سيوييه، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1988.
22. منتقبن محمود السقار، تنزيه القرآن الكريم عن دعاوي المبطلين، رابطة العالم الاسلامي، مكة المكرمة، السعودية. (د.ط)، (د.ت).
23. نولدكه تيودور، تاريخ القرآن، نقله إلى العربية وحققه: جورج تامر، دار نشر جورج المزهيد سهايم، نيويورك، ط4، 2000.